

كتاب

تَسْلِيَةُ نُفُوسِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الْأَطْفَالِ

للحافظ عبد الرحمن بن رجب
. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
736 - 795 هـ

بتحقيق « الشيخ الوليد بن عبد الرحمن الفرغان - أثابه الله - . »

قام بتنسيقه ونشره : سلمان بن عبد القادر أبو زيد
. عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنَّةٍ ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ

بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [سورة التغابن الآية 11] . ويقول النبي صلى الله

عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما : (ما

يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى

الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها) ، وفي حديث آخر من رواية

صهيب رضي الله عنه قال : (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس

ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته

ضراء صبر فكان خيرا له) .

الصبر في قمة الأعمال الصالحة التي وعد الله عليها بالثواب الوافر ﴿ أُولَئِكَ

يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان الآية

.[75

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف

الآية 90] . ﴿ وَجَزَاءُهمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان الآية

12] وأصبر الناس على بلاء الله هم الأنبياء ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْصِ

مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف الآية 35] .

لأنه في مواقف الضيق والحرص يمتحن الإيمان ، وتظهر للناس خبيئته ، حيث

تتجرع النفس مرارة الألم ، وتعبس الدنيا ويكفر وجهها . هناك تتجلى قيمة

الصبر وفضائله ، متى استطاع الإنسان بعزيمته الصادقة وتسليمه بقضاء الله ، أن يكبح جماح نفسه الشמוש ، ويأخذ بمجامعها إلى الجادة ، فإذا ذاقت حلاوة الصبر وبرد الإيمان ، هجعت واطمأنت ، وذهب عنها وهج الحزن وكدره ، حتى ترجع أصلب ما تكون عودا ، وأقوى في مصاولة خطوب الدنيا ونكساتها .

وبهذا الدرع الفريد ، يتجاوز المسلم أزماته ؛ ليحمل مشعل الحياة الكريمة في دروب الأرض وفجاجها الواسعة ، ويقوم بالمهمة التي خلق من أجلها ، وليكمل مسيرة الخير تحت راية التوحيد الخالدة ، فتتحول المنغصات الخانقة ، إلى محرك نشط يدفع بالأمة إلى واجهة التاريخ ، ويصقل بخشونته النفوس فتعود أكثر تألقا ؛ لتعيش هنيئة راغدة في ظل دوحة الإسلام الوارفة ، تنفيا ظلالتها وتقلب في خيراتها .

موضوع الكتاب :

غرس الله في قلوب الآباء محبة الأولاد والشغف بهم ، فلا تكاد تجد أبا أو أما إلا وهو متعلق بأولاده ، كلف بهم ، مهما بلغ جفاء قلبه وخشونة أخلاقه ، وقد أشار إلى ذلك المولى جل وعلا في كتابه الكريم بقوله : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ** ﴾ [سورة آل عمران الآية 14] وقوله : ﴿ **النَّمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [سورة الكهف الآية 46] .

وقال مذكرا خلقه بهذه النعمة وممتنا عليهم بها : ﴿ **وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾ [سورة الإسراء الآية 6] . وقال : ﴿ **أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ** ﴾

وَبَيْنَ ﴿ [سورة الشعراء الآية 133] . وقال : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي ﴾ [سورة نوح الآية 12] .

حتى بلغت الشفقة بالآباء أن ذهب يعقوب عليه السلام يوصي أولاده بقوله :
**﴿ يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ [سورة يوسف الآية 67] . مع أنه ﴿ مَا
 كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [سورة يوسف الآية 68] .**

وذهب نوح عليه السلام يدعو ابنه إلى الركوب معه في السفينة فقال : ﴿ يَا
 بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة هود الآية 42] .

ثم سأل الله تعالى أن يرده إليه : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
 أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود الآية 45] .

وابتلى الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ووحيده إسماعيل عليه السلام ﴿ يَا
 بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [سورة الصافات الآية
 102] ؛ ليمتحن صبره وجلده على أقدار الله فكان من الصابرين المتحسبين ،
 وقد وصف الله ذلك بأنه بلاء مبين ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة
 الصافات الآية 106] .

من هذا نلمح مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهلهم ،
 ولذلك فالابتلاء فيهم له وقع شديد على النفوس ، وأثر لا تمحوه الأيام ، إلا
 من تذرع بالصبر ، وفوض أمره إلى الله كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا
 أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة يوسف الآية 86] .

وأفراد هذا الموضوع الإنساني بالبحث لفئة بارعة من أبي الفرج تفيض بالحس الرفيع والروح الشفافة⁽¹⁾.

المؤلف :

هو العلامة الحافظ المفسر الفقيه الأصولي الواعظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين السلامي البغدادي ثم الدمشقي ، المعروف بابن رجب الحنبلي ولد ببغداد سنة 736 هـ وتوفي سنة 795 هـ .

والحديث عن أخلاقه ومناقبه وخلالها الجمة ، لا تكاد تقي به الصفحات الطوال ، وأظن أن أصدق وصف له ما قاله العليمي : اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب بالمحبة إليه⁽²⁾.

أما عبادته وزهده وورعه فحدث ولا حرج ، يقول الحافظ ابن حجر : كان رحمه الله عبادة وتهجد منجمعا عن الناس لا يخالطهم ، ولا يتودد إلى أحد من ذوي الولايات⁽³⁾.

ولو ذهبنا نستنتق التاريخ ونسأل صفحاته ، لظفرنا بما ننوء بحمله ونعجز عن تسطيره . وحسبنا القول الذي ألقى على تراثه ، والمحبة التي أشربت بها القلوب .

(1) كان من الأسباب التي دفعتني إلى إخراج هذا الكتاب: أني فقدت منذ سنوات ثلاث أبا وصديقا من خؤلتي ، اخترمته المنية وهو في ميعة الصبا وربعان الشباب ومن خيرة الناس استقامة وخلقا ونبلا. فرأيت في نشره تعزية لنفسي وأهله ومن أصيب بمثل ذلك .

(2) [المنهج الأحمد ق / 470]

(3) [إنباء الغمر بأخبار العمر 1 / 795]

وهذه المنزلة المرموقة الشامخة لم يكن وصوله إليها ضرباً من العبث ولم تأت عفواً ، فدونها خراط القتاد ، وإنما جاءت لتتوجها لأعماله وجهوده ووعيه النادر ؛ لأن التاريخ مرآة صادقة يعكس الواقع بتجرد ، ويعطي كل ذي حق حقه من غير ادعاء أو تزيف .

فالتاريخ حكم فصل تسقط دونه جميع الأفتنة ، وتتكشف أمامه مواطن الضعف ومسارب القصور .

وبالطبع فإننا نقصد به التاريخ الحقيقي - سواء كان منشوراً أم لا - البعيد عن المؤثرات البيئية التي ربما كانت سبباً في إخفائه أو تشويهه .

ابن رجب : أيها الرجل المعطاء لقد أنصفك التاريخ ، وبوأك مكان الصدارة في عالم الفكر ودنيا الثقافة ، فله درك من عالم وهب نفسه لله وأتحف الناس بروائعه ، التي لا زالت نبعا صافيا يردونه في كل حين .

الأصل المخطوط :

وصلتنا صورته ضمن مجموعة خطية ، عن أصل محفوظ في مكتبة فاتح تحت رقم 5318 ، ويقع في ست ورقات ، نسخت سنة ثلاث وتسعين وثمان مائة كتبها عيسى بن علي الحوراني⁽¹⁾ ، بقلم نسخي جيد ومسطرتها 19 سطراً (ينظر الأنموذج) وسجل في أوله ما نصه : (يتلوه كتاب تسليية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال . تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس الحنبلي الشهير بابن رجب رحمهما الله تعالى)⁽²⁾ . وقد حاولت الحصول على

(1) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر .

(2) سبق أن ذكرت وصفا موسعا للمجموع في العدد السادس عشر من المجلة .

نسخ أخرى لأستفيد منها في التحقيق فلم أجد ، ولعلي أن أعثر على ذلك في مستقبل الأيام .

التوثيق :

سلفت الإشارة إلى أن المجموع الذي يضم هذا الكتاب على درجة لا بأس بها من الصحة والإتقان .

وتداول العلماء له بالتملك والوقف ، مع اشتماله على رسائل أخرى للمؤلف دليل آخر على صحة نسبة الكتاب إليه ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك التشابه في الأسلوب بينه وبين مؤلفاته المعروفة ، فإننا نصل إلى القناعة بصدق هذه النسبة .

ولا يضر بعد ذلك إهمال المترجمين له في ثبت المؤلفات ؛ لأنهم دأبوا على الاكتفاء بالمشتهر دون غيره .

منهج التحقيق :

حرصت على أن يخرج الكتاب كما وضعه مؤلفه . فلم أتصرف في النص إلا بقدر ما تقضي به الضرورة ؛ من إضافة أو تعديل ، ففقت به ونبهت عليه في موضعه ، وعزوت الآيات الكريمة وخرجت الأحاديث الواردة - مع نقل ما قاله أهل العلم في شأن ثبوتها - والآثار التي أسعفتني المصادر بها ، وترجمت لمن رأيت أنه بحاجة إلى التعريف به ، وفسرت ما حسبته غامضا .

وبعد :

أرجو الله مخلصا أن أوفق إلى متابعة هذا الجهد المتواضع فيما يعود بالخير والنفع المتصل ، فمنه نستمد العون ونستلهمه الرشد والسداد .

كتبه : الوليد بن عبد الرحمن الفريان

1407 / 6 / 19 هـ



نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد ، وآله وصحبه
أجمعين وبعد :

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (قال
النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من
نفسك . فواعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما
منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة :
واثنين ؟ قال : واثنين) .

هذا يدل على أن مجالس النبي صلى الله عليه وسلم - للفقهاء في الدين والتذكير
ونحو ذلك - لم يكن النساء يحضرنها مع الرجال ، وإنما كن يشهدن الصلوات
في مؤخر المساجد ليلاً ، ثم ينصرفن عاجلاً ، وكن يشهدن العيدين مع
المسلمين منفردات عن الرجال من ورائهم ، ولهذا لما خطب النبي صلى الله
عليه وسلم يوم العيد رأى أنه لم يسمع النساء ، فلما فرغ جاء ومعه بلال إلى
النساء ، فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، وأجلس الرجال حتى يفرغ من
موعظة النساء .

وأصل هذا ، أن اختلاط النساء بالرجال في المجالس بدعة كما قال الحسن
البصري⁽¹⁾ . فلذلك قال له النساء : (يا رسول الله ، غلبنا عليك الرجال) .
وقد روي من حديث أبي هريرة ، (أن النساء قلن : يا رسول الله ، إنا لا نقدر
على أن نجالسك في مجلسك فقد غلبنا عليها الرجال ، فواعدنا موعداً نأتيك .
قال : موعدكن بيت فلانة⁽²⁾ فأتاهن فحدثهن)⁽¹⁾ .

(1) الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيراً ويدلس ،

توفي سنة عشر ومائة . [تقريب / 160]

(2) في المسند : بيت فلان .

وقد أمره الله تعالى أن يبلغ ما أنزل إليه : للرجال والنساء ، وأن يعلمه الجميع ، كما قال له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ الآية [سورة الأحزاب الآية 59] .

وقال : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ الآية [سورة النور الآية 31] .

فامتثل ما أمره الله تعالى ، ووعدهن مجلسا خاصا لهن ، في بيت امرأة ، ولعل تلك المرأة كانت من أزواجه أو محارمه - والله أعلم بحقيقة ذلك - ثم وفي بموعده لهن ، فأتاهن في يوم موعدهن ، فوعظهن وأمرهن ونهاهن ورغبهن ورهبهن ، فكان من جملة ما بشرهن به أن قال لهن : (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها لم يبلغوا الحنث إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ قال : واثنين) . وليس في هذا حد سالم⁽²⁾ .

وعمومه يدخل فيه من بلغ الحنث ومن لم يبلغه ، والمصيبة بمن بلغ أعظم وأشق على النفوس .

والمصيبة بمن لم يبلغ أهون وأخف ، وقد جاء تقييده في حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (183 / أ) : (ما من الناس

(3) [أخرجه أحمد في المسند 19 / 138 (الفتح الرباني) ، والبخاري في الأدب رقم 148 .]

(1) ما بين الحاصرتين علق في الهامش بخط باهت . وهذا ما استظهرته .

مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم (خرجاه في الصحيحين⁽¹⁾ .

والمراد بالحنث الإثم⁽²⁾ ، والمعنى أنه لم يجر عليه الإثم ببلوغه العمر الذي يكتب عليه الإثم فيه . وهو بلوغ الحلم وعلل : بفضل رحمة الله إياهم . يعني أن الله يرحم أطفال المسلمين رحمة تامة ، حتى تفضل عنهم ، فيدخل آباؤهم في فضل تلك الرحمة . وهذا مما يستدل (به)⁽³⁾ على أن أطفال المسلمين في الجنة .

وقد قال الإمام أحمد⁽⁴⁾ : ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة⁽⁵⁾ - وضعف ما روي مما يخالف ذلك أيضا⁽⁶⁾ -

و (لا)⁽⁷⁾ أحد يشك أنهم في الجنة⁽⁸⁾ : قال : وإنما اختلفوا في أطفال المشركين⁽⁹⁾ .

(2) [البخاري في الصحيح رقم 1381 (فتح) ، وأحمد في المسند 3 / 152 ، والنسائي في المجتبى 4 / 24 ، وابن ماجه في السنن رقم 1605 ، وابن حبان في الصحيح رقم 721 (موارد) ولم يخرجهم مسلم من حديث أنس .]

(3) [ينظر ابن حجر فتح الباري 3 / 120 .]

(4) زيادة يقتضيها السياق .

(5) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ثقة حافظ فقيه حجة إمام ت 241 . [التقريب/ 84] .

(6) نقله المؤلف من رواية جعفر بن محمد عنه . [كتاب الأهوال / 101] .

(7) [كتاب الأهوال / 105] .

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) رواية الميموني عنه [كتاب الأهوال / 101] .

(3) [كتاب الأهوال / 104] .

وقال أيضا : هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه⁽¹⁾ !! يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه ، فكيف يشك فيه !

ولذلك نص الشافعي⁽²⁾ على أن أطفال المؤمنين في الجنة⁽³⁾، وروي ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس وكعب .

وخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عسافير ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش⁽⁴⁾. وخرج البيهقي من رواية ابن عباس عن كعب نحوه⁽⁵⁾.

وفي صحيح مسلم صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلا⁽⁶⁾ قال له : مات لي ابنان

(4) نقله المؤلف عنه في [كتاب الأهوال / 106 .]

(5) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي نزيل مصر . فقيه أصولي محدث ت 204 [التقريب / 467 .]

(6) ينظر المؤلف أهوال القبور / 101 .

(7) ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله . ذكرهما المؤلف في الأهوال عن ابن أبي حاتم / 102 .

(8) [البعث والنشور رقم 206 .]

(9) هو أبو حسان كما في الصحيح.

فما أنت محدثي عن رسول الله (183 | ب) صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا . فقال : نعم ، صغارهم دعاميص⁽¹⁾ الجنة ، يتلقى أحدهم أباه - أو قال : أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال : بيده - كما أخذ أنا بصنفة ثوبك ، فلا يتناهى - أو قال : ينتهي - حتى يدخله الله وإياه⁽²⁾ الجنة .

وخرج النسائي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة . قال : يقال⁽³⁾ لهم : ادخلوا الجنة . فيقولون : حتى يدخل أبوانا في المجتبي أبوانا . . فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآبائكم) .

وخرج الإمام أحمد ، وابن ماجه من حديث معاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده ، إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا احتسبته) .

وخرج الإمام أحمد وابن ماجه أيضا من حديث عتبة بن عبد السلمي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل) .

(1) واحدهم دعووص أي صغار أهلها ، وأصل الدعوموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي أن هذا

الصغير في الجنة لا يفارقها ، ينظر النووي شرح صحيح مسلم 16 / 182 .

(2) في الصحيح : وأباه .

(3) في الأصل تعالى وهو تصحيف .

وفي رواية للإمام أحمد ، (أن الله تعالى يقول للوالدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة . فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا . قال : فيأبون . فيقول الله عز وجل : مالي أراهم محبطين ؟ . ادخلوا الجنة . فيقولون : يارب آباؤنا . فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم) . وروى الطبراني من حديث أنس نحوه وزاد (184 \ أ) فيه : (أن يقال لهم في المرة الرابعة : ادخلوا ووالديكم معكم ، فيثب كل طفل إلى أبيه فيأخذون بأيديهم ، فيدخلونهم الجنة . فهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم) .

وخرج الإمام أحمد والنسائي من رواية قرّة⁽¹⁾ (أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه ابن له . فقال له : أتعبه ؟ قال : أحبك الله كما أحبه . فمات ففقدته فسأل عنه ، فقال : أما يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته عندها⁽²⁾ . يسعى ليفتح لك - زاد الإمام أحمد - فقال رجل : له خاصة أم لكلنا ؟ قال : بل لكلكم) .

وخرج الطبراني من حديث ابن عمر نحوه ، ولكن قال فيه : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو ما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش ؟ قال : بلى يا رسول الله) .

وفي المعنى أحاديث كثيرة جدا . وقد كان الصحابة يرجون ذلك عند موتهم ، كما روي عن أبي ذر أنه لما حضرته الوفاة بكت أم ذر فقال لها : أبشري ولا

(1) قرّة بن إياس المزني .

(2) في السنن : عنده .

تبكي ؛ فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة ، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا) . وقد مات لنا ثلاثة من الولد (1) .

والحديث الذي قبله يدل على أن أطفال المسلمين الموتى يلعبون تحت ظل (184 / ب) العرش ، وفي حديث أبي هريرة أنهم دعاميص الجنة . والدعموص : دويبة صغيرة تكون في الماء . والمعنى أنهم يتربون في أنهار الجنة ، ويغتمسون فيها ، وفي رواية : ينغمسون في أنهار الجنة(2) . يعني يلعبون فيها .

وقد روي أنه يكفلهم إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام .

وخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم في الجنة) . وخرجه الإمام أحمد مع نوع شك في رفعه ، ووقفه على أبي هريرة(3) .

(3) رواه الحافظ أبو موسى المدني كما في التسليّة للمنجي / 97 ، وأخرج الحديث دون القصة أحمد في المسند 5 / 153 ، 159 ، 164 ، وابن حبان في صحيحه رقم 722 (موارد) . وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الأشرع عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر رضي الله عنه الوفاة بكيت . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي أنه لا يد لي بتكفينك . . الخ 1 / 170 وأخرجه من الطريق نفسه أحمد في المسند 5 / 155 ، 166 وفيه : فقال: أبشروا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امرأين مسلمين فذكره . وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق عبد الله بن خراش قال : رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالريذة ... فقلت له : إنك امرؤ ما يبقى لك ولد . فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء ... الخ 1 / 161 .

(1) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 23.

(2) المسند 2 / 326 وانظر الأهوال للمؤلف / 102 .

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا : (أولاد المسلمين في جبل في الجنة ، يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام ، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم) . خرجه البيهقي وغيره مرفوعا⁽¹⁾ ، ويشهد لذلك ما في صحيح البخاري ، عن سمرة بن جندب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتاني الليلة آتيان ، - فذكر حديثا طويلا وفيه ، إن الملكين فسراه له ، وأنهما جبريل وميكائيل ، وأنه من جملة ما رأى - رجلا طويلا في روضة وحوله ولدان وقالاه : الرجل الطويل في الروضة إبراهيم ، والولدان حوله كل مولود مات على الفطرة . فقال رجل . يا رسول الله (185 / أ) وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين)⁽²⁾ .

وقد روي أنهم يرضعون من شجرة طوبى . وروي ابن أبي حاتم بإسناده عن خالد بن معدان⁽³⁾ قال : إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى . ضرع كلها . ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في (نهر من)⁽⁴⁾ أنهار (الجنة) يتقلب فيه حتى يوم القيامة ، فيبعث ابن أربعين سنة . كذا قال .

(3) البعث والنشور رقم 210 وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 3 / 379 والحاكم في المستدرک 1 / 384 ، 2 / 370 وصححه ووافقه الذهبي وأبو نعيم في تاريخ أصبهان 2 / 263 وأبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث وكتاب العربي كما في بشرى الكئيب / 89 . قال الدارقطني : والموقوف أشبه . كما هو في الأهوال للمؤلف / 103 .

(1) الصحيح رقم 7047 وأحمد في المسند 5 / 14 - 15 .

(2) أبو عبد الله الكلاعي الحمصي ، ثقة عابد يرسل كثيرا ت 103 تقريب / 190 .

(3) ساقط من الأصل .

وفي حديث المقدام بن معدي كرب المرفوع : إن ما بين السقط والهرم ،
يبعثون أبناء ثلاثين سنة . وفي رواية : أبناء ثلاث وثلاثين .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن خالد بن معدان قال : إن في الجنة شجرة
يقال : لها طوبى كلها ضروع ، فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع
من طوبى . وحاضنهم إبراهيم عليه السلام . وروى الخلال بإسناده عن عبيد
بن عمير⁽¹⁾ : إن في الجنة شجرة لها ضروع كضروع البقر ، يغذى به ولدان
أهل الجنة ، حتى إنهم يستنون كاستنان البكارة .

وبعض الأطفال له مرضع في الجنة ، مثل إبراهيم ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فإنه لما مات قبل أن يفطم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن
له مرضعا في الجنة تكمل رضاعه فيها . وفي رواية : " ظئرا"⁽²⁾ . وفي رواية:
إن له مرضعين يكملان رضاعه في الجنة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم
(185 ا ب) قد حضره وهو يكيد⁽³⁾ بنفسه ، فدمعت عيناه صلى الله عليه
وسلم وقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، والله يا
إبراهيم إنا بك لمحزونون . وفي رواية : ولولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ،
وأنها سبيل مأتية ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا
.

(4) لعله أبو عاصم بن قتادة الليثي قاص أهل مكة المجمع على ثقته ، وقد ولد على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم .

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات 1 / 140 .

(2) يقارب بها الموت فتح البارى 3 / 174 .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء ، من حديث زرارة بن أوفى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم عزى رجلا على ابنه فقال الرجل : يا رسول الله (1) ، أنا شيخ كبير وكان ابني قد أجزأ عنا . فقال : أيسرك ، قد نشر لك ، أو يتلقاك من أبواب الجنة بالكأس ؟ قال : من لي بذاك يا رسول الله ؟ قال : الله لك بهن ولكل مسلم مات له ولد في الإسلام . وبإسناده عن عبيد بن عمير قال : إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنة بأيديهم الشراب ، فيقول الناس : اسقونا اسقونا . فيقولون : أبوينا أبوينا . حتى السقط محبطينا بباب الجنة يقول : لا أدخل حتى يدخل أبوي .

وفي المعنى حديث مرفوع من رواية ابن عمر لكن إسناده لا يصح وهو باطل ، قاله أبو حاتم الرازي (2) .

وفي المعنى رؤيا إبراهيم الحربي (3) . المشهورة حتى (86 \ أ) صار يتمنى موت ابنه .

ومات قبل البلوغ (4) ، وروى البيهقي بإسناده عن ابن شوذب (5) ، أن رجلا كان له ابن لم يبلغ الحلم ، فأرسل إلى قومه : إن لي إليكم حاجة : إنني أريد أن

(3) (الله) زيادة يقتضيها السياق .

(4) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الحفاظ ت 277 تقريب / 467 .

(5) أبو إسحاق من تلاميذ الإمام أحمد زاهد ورع فقيه محدث ت 285 طبقات الحنابلة 1 / 86 .

(1) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 29 .

(2) أبو عبد الرحمن عبد الله الخرساني . صدوق عابد ت 156 تقريب / 308 .

أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله ، وتؤمنون⁽¹⁾ فسألوه عن ذلك ، فأخبرهم أنه رأى في نومه كأن الناس جمعوا إلى القيامة ، فأصاب الناس عطش شديد ، فإذا الوالدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق ، فأبصرت ابن أخ لي فقلت : يا فلان اسقني . فقال : يا عم إنا لا نسقي إلا آباءنا . قال فأحببت أن يجعل الله ولدي هذا فرطاً لي⁽²⁾ فدعا فأمنوا . فلم يلبث الغلام إلا يسيراً حتى مات⁽³⁾ .

وفي أكثر الأحاديث ذكر الثلاثة والاثنتين . وفي بعضها وأظن لو قلنا وواحداً لقال : وواحداً . خرجه أحمد من حديث جابر⁽⁴⁾ .

وقد جاء ذكر الواحد في حديث ، خرج الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود مرفوعاً : من قدم ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً حصيناً . فقال أبو ذر : قدمت اثنتين . فقال : واثنتين . فقال أبي بن كعب : قدمت واحداً . قال : وواحداً ، ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى . وفي الترمذي عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما⁽⁵⁾ الجنة . فقالت عائشة : ومن كان له فرط من أمتك . قال⁽¹⁾ : ومن (

(3) أي على دعائه.

(4) يقال : افتطرط ولداً أي مات ولده قبل اللحم . ترتيب القاموس 3 / 475 .

(5) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 28 إلا أنه نسب القصة إلى ابن شوذب نفسه . وليس هذا من هدي النبي . صلى الله عليه وسلم . ولا صحابته ولا التابعين ومن سلف من صلحاء الأمة بل ورد النهي عن الدعاء على الأولاد والتحذير منه .

(6) المسند 19 / 139 قال الهيثمي : ورجاله ثقات المجمع 3 / 7 .

(7) في الأصل : بهم .

186 | ب) كان له فرط من أمتي يا موفقة . قالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : فأنا فرط أمتي ، لن يصابوا بمثلي ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في آخر خطبة خطبها : (إني فرطكم على الحوض) ، يشير إلى أنه يتقدمهم ويسبقهم إلى الحوض ، وينتظرهم عنده.

وفي حديث مرسل خرجه ابن أبي الدنيا : من مات ولم يقدم فرطاً لم يدخل الجنة إلا تصريداً⁽²⁾ . فقيل : يا رسول الله ، وما الفرط ؟ قال : الولد (أ)⁽³⁾ وولد الولد . والأخ يؤاخيهِ في الله عز وجل . فمن لم يكن له فرط ، فأنا له فرط .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة ، في ذكر المنام الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم : ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه ، فجاءته أفراطه الصغار فتقلوا ميزانه .

وعن داود بن أبي هند⁽⁴⁾ قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكان الناس يدعون للحساب فقدمت إلى الميزان ، فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة ، فرجحت السيئات على الحسنات ، فبينما أنا كذلك مغموم ، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء ، فوضعت في حسناتي)

(1) في الأصل : قال ومن قال ومن . وهو سهو من الناسخ .

(2) التصريد : التقليل ترتيب القاموس 2 / 812 .

(3) ساقط من الأصل .

(4) أبو بكر القشيري مولاهم البصري ، ثقة متقن كان يهـم بأخرة ت 140 تقريـب / 200 .

فرجحت على السيئات) (1) فقيل لي : تدري ما هذا ؟ قلت : لا . قال : سقط
كان لك . قلت : إنه قد كانت لي صبية ابنة لي . فقيل لي : تيك ليست لك ؛
لأنك كنت تتمنى موتها(2).

وفي (187 \ أ) هذا إشارة إلى أن الميزان إنما يتقل بما يتقل على النفوس :
من المصائب ويشق ، فأما ما لا يتقل عليها ولا يشق لمن يتمنى موته من
أولاده فلا يتقل به الميزان .

قال ابن أسلم(3) : مات ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا .
فأوحى الله (إليه) (4) : ماذا كنت مفتديه ؟ قال : بطلاع(5) الأرض ذهباً .
قال : فأوحى الله إليه : إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك . وفي رواية
قال : يا داود ما كان يعدل هذا الولد عندك ؟ قال : كان يعدل عندي ملء
الأرض ذهباً . قال : فلك يوم القيامة عندي ملء الأرض ثواباً(6) . سبحان من
لا يحصي العباد نعمه . وربما كانت نعمه فيما يسوء أكثر من نعمه فيما يسر
كما قيل :

إذا مس بالسراء عم سرورها * * * وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

(5) ساقط من الأصل .

(6) أخرجه عبد الرحمن بن أبي حاتم كما في التسليّة / 127 وذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 19 .

(1) أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، ثقة عالم وكان يرسل ت 136 تقريب / 222 .

(2) ساقط من الأصل .

(3) الطلع : المقدار . ترتيب القاموس 3 / 88 .

(4) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 27 .

وما فيهما إلا له فيه نعمة * * * تضيق بها الأوهام والبر والبحر

لما كان للمؤمن داران : دار يرتحل منها ، ودار ينتقل إليها ويقيم بها أمره أن ينقل من دار ارتحاله إلى دار إقامته ؛ ليعمرها من بعض ما أعطاه في دار ترحاله .

وربما أخذ منه كرها ما يعمر به دار إقامته ، ويكمل له به عمارتها وإصلاحها ، ويقدم له إليها ما يحب من أهل ومال وولد ، يسبقونه إليها ؛ ليقدم على ما يحب من مال وأهل وولد ، وإن كان المؤمن (187 ا ب) لا يشعر بذلك .

فما فرق إلا ليجمع ، ولا أخذ إلا ليرد ، ولا سلب (إلا) زيادة يقتضيها السياق . ليهب ، ولا استرد العواري إلا ليردها تمليكاً ثابتاً لا استرجاع فيه بعد ذلك !!

وفي مراسيل الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : لأن أموت قبل أخي أحب إلى . فقال : لأن يكون لك أحب إليك من أن تكون له .

قال الحسن : علموا أن ما لهم من أهاليهم (إلا) (1) ما قدموا أمامهم (2) . وكذا قال عمر بن عبد العزيز (1) وغيره . ويشهد له حديث : الرقوب (2) من لم يقدم ولدا .

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية 2 / 141 .

سبحان من أنعم على عباده بما خولهم من المال والولد ، ثم استرجع بعض ذلك منهم كرها ، وعوضهم الصلاة والرحمة والهدى⁽³⁾ وذلك أفضل مما أخذ كما قيل :

عطيته إذا أعطى سرورا * * * وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فأي النعمتين أجل قدرا * * * وأحمد في عواقبها مآبا⁽⁴⁾
أرحمته التي جاءت بكره * * * أم الأخرى التي جلبت ثوابا
بل الأخرى وإن نزلت بضر * * * أجل لفقد من صبر احتسابا

آخره ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا⁽⁵⁾.

(3) ابن مروان بن الحكم الأموي ، أمير المؤمنين ويعد من الخلفاء الراشدين ت101 تقريب / 415 .

(4) الرقوب : التي لا يبقى لها ولد أو مات ولدها . ترتيب القاموس 2 / 372 .

(5) قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ * وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ

وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ سورة البقرة الآيتان 156 ، 157 .

(6) في الأصل : مآبا ، إيابا .

(1) إلى هنا انتهت الرسالة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . الوليد بن عبد الرحمن الفريان .